

مناقشات

كتب الاستاذ يوسف الشاروني يتقدم قصتي « وحول » (*) ، فأخذ عليها انتي اعطيت القراء صورة عن بطلها العامل لم

ابرر وجودها الفني ، وأوضح ذلك بان انصاف هذا العامل عن كسب حصل عليه بغير تمديد «أمر غير حقيقي» ، ثم ختم نقده بقوله « ان المؤلف قد أضحم إجمالاً على العامل هذا اللون من التفكير الاجتماعي ، مما يربط بالمستوى الفني للقصة » .

وأحسب ان في هذا الكلام ذاته ، على غرضه ، زداً على انتقاد الاستاذ الشاروني . فهو يذكر ان العامل كان يفكر تفكيراً اجتماعياً . وإن كان يعتبر هذا التفكير إجمالاً من المؤلف . واني لاتساءل بمجب : كيف لم يجد الناقد في هذا الصراع الطويل الذي عاناه العامل ، وفي هذا التفكير الاجتماعي بالذات ، حين ربح ورقة اليانصيب ، مبرراً لرفضه ذلك الربح ؟

لعله يحسن بي هنا ان استعيد هذا الصراع الذي رسمت خطوطه بدقة وتركيز اعتقد انه لا فجوة فيها . فان بطلنا يظهر في اول القصة ونفسه تنازعه الى شراء ورقة اليانصيب ، ولكنه يتمنى مع ذلك ان ينجو من اغراء هذه الرغبة . وقد ينجح صباحاً في الفرار من اصوات اولئك الشياطين وايديهم الممدودة الملوحة . اما في المساء ، فقد طالعه ورفيقه ، حين خرجا من المطبعة ، وجه صبي ذي عينين واهنتين مكسورتين شيعان على تقاسيمه سياتل والمسكنة ، وقال له بصوت ضعيف « آخر نصف ورقة يا سيدي ، إن شاء الله تريح » . ومع رغبته الاولى في ابتياع مثل هذه الورقة ، فقد يقن انه إنما اشتراها اشفاقاً على الصبي ، لا طمعاً في الربح .

وفد بدأ الصراع يتجه نحو ذروته حين طلب اليه رفيقه ان يدينه ليرة يشترى بها بعض الخبز لاولاده ، مبرراً هذا الطلب بقوله « ما دام في استطاعتك ان تهب خمس ليرات تمناً لامل في الهواء ... » . واذ ذاك بدأ الندم يثقل على ضمير العامل : خمس ليرات كان بأشد الحاجة اليها ، وقد وعد زوجته بان يبتاع بعض الحلوى لولديه . ثم أخذ الضيق بانفاسه حين انبأته زوجته ان ابنه يشكو البرد والسعال ، وبلغ الندم في نفسه حداً جعله على ان يحاول نسيانه . فدعا ابنته اليه وسألها ان تقسراً عليه درس الغد .

في هذا الجو من القلق والتبكيك رجحت ورقته . اما العشاوة التي رانت على عينيه ، فضل طريق المطبعة ، فبعثها مزيج من الفرح ومن ذلك الندم ولقد دخل الى المقربى ، لبستصفي شعوره ، فلم يبلغ من ذلك شيئاً . وإن إحساسه برارة مذاق القهوة ذو دلالة غنية : إن المارة في فمه ، في نفسه ، في ضميره . ولقد حسب انه سيضع حداً لها اذا هو استسلم للنوم الذي سببته ذلك الاحساس . ولكنه افاق في الليل على سعال ابنه ، فرده ذلك الى الواقع ، هذا الواقع الذي لم يكن له بد من مواجهته الآن . إن ولده مريض ، وهو يحتاج الى علاج ، ولكن العلاج لن يجدي اذا هم ظلوا في هذه الغرفة الرطبة . إذن ، فيستقل بذويه الى بيت دافئ يقنتي له بعض الاثاث الجديد : لا بد له إذن من قبول هذا الربح . وإنه الآن في انتظار الصباح ، ليقصد الى مكتب صرف الاوراق الراجعة .

كان ذلك هو قراره الاول . على ان القضية لا تقف هنا . وهو مدعو (*) راجع باب « قرأت المدد الماضي من الآداب » في هذا العدد .

الى ان يتابع تطورها : إن الاهتمام بالبيت الجديد سيقضي ردها من الزمن ، وانقطاعاً عن العمل ، اسبوعاً او يزيد . وهنا يستيقظ العامل على وضعه الحقيقي الذي خدرته هذه الورقة الراجعة التي قدتها اليه

ريح الاعداد .

لقد ظل البطل يقرب امره على وجوهه كلها ، ويواجه رفاقه الذين كان يكدمح معهم ويأكل رغيفه معهم بمرق جبينه . إنه الحس الاجتماعي الذي ينعم به كل انسان ، ولا سيما كل من جمعهم البؤس فزودهم بشعور مشترك في الحياة . وليس في نيته هنا ان استعيد المحاكات العقلية التي مرت بذهن البطل ، فهي ليست من الفلسفة في شيء ، وانما هي ظلال تنبعث من الفوس الشريفة ، وأوضح ان هذا العامل كان ينعم بمثل هذه النفس . ولقد استعرت هذه المحاكات والاسئلة ، يطرحها العامل على نفسه ، زهاء نصف صفحة ، وكلها تبرير الموقف الذي سيتخذه : اي لرفض الربح الذي أنه ، ولم يكن رجلاً حلالاً . وأن يكون الدافع الذي حمل العامل على شراء الورقة هو الفقر ، على فرض ان ذلك صحيح ، فليس في هذا ما يمنع العامل من ان يراجع نفسه ، ويجعله يتخذ موقفاً آخر بعد فترة كافية من التفكير والتقدير .

صحيح ان رفض ربح يأتي الانسان على حين غرة ، هو مبدئياً أمر غير محتمل الوفور دائماً . ولكنه يظل ابدأ مرتبطاً بالملابس والقرائن والمبررات . وجدير بهذه ، حين تتوفر ، ان تحقق هذا الرفض . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى تأتي « الرؤية » القصصية للكاتب ، وفهمه لمنى الواقعية . فانا لا افهم الواقعية على انها تسجيل آلي خام للاحداث ، وانما افهمها على انها « تجاوز » و « نزوع » ، ابتداء من الواقع ، لا تقيد به واقتصر عليه . وإلا افرغنا الادب خاصة ، والفن عامة ، من اي محتوى ، ونزعنا منه كل رسالة . فواضح من تفكير العامل الذي يرفض فكرة القدر انه يؤمن بان الانسان هو الذي يصنع قدره ومصيره ، ولا بد له ، لكي يثبت عملياً هذا المفهوم ، من ان يقوم « بعمل » حاسم ، قد تكون فيه صدمة ، ولكن هذه هي طبيعة كل عمل تآثر .

اما اعتقاد الاستاذ الشاروني بأنني افحمت على هذا العامل هذا اللون من التفكير الاجتماعي فلا ادري كيف ارد عليه . كل ما استطيع ان اقوله في هذا الصدد انني عشت سنوات طويلة ، بحكم عملي الصحفي والادبي ، بين عدد من عمال المطابع ، واتبحت لي ان اصادق بعضهم وانا فهمهم واستكشفت نفسياتهم ؛ واستطيع ان اؤكد للاستاذ الشاروني ان كثيرين منهم يتمتعون بمثل هذا الوعي الذي يتمتع به بطل القصة ، وان لديهم تفكيراً اجتماعياً صافياً وامكانيات غنية .

بقي انتقادان ، اولهما تمايق الاستاذ الشاروني على فولي عن البطل : « أليس مما يخجله ان المال ليس ماله ، بل مال كثيرين من الاشقياء الذين تخنقهم اوضاع حياتهم » فقد قال تماقاً على ذلك : « وهكذا اعطانا المؤلف كل المبررات لنتيجة تحقق عكسها » ... وانا لا افهم هذه العبارة ، او لعل الناقد فهم عبارتي فهماً معكراً او مغلوطاً ، فواضح ان هذه الفكرة تبرر تماماً ان يرفض العامل هذا المال الذي ليس هو ماله ، وهذه هي النتيجة التي تحققت في القصة ... لا عكسها !

اما الانتقاد على عدم ذكر اسم البطل ، فانتقاد شكلي لا أهمية له في نظري . واستشهاد الناقد بعبارة في القصة تحدث لبساً في ذهن القارئ ، امر قابل جداً للنقاش . فالواقع ان القضية لا تخرج عن كونها نوعاً من

التداعي اذا تابعه القارئ بقليل من الروية زال اللبس فيه .
والاستاذ الشاروني تحيي واعجابي

سهيل ادريس

★

مناقشة « مأساة الانسان »

قرأت مقال الاستاذ شاكر مصطفى عن « مأساة الانسان في الحضارة الحديثة ». وقد نجح الكاتب تماماً في اثاره التساؤل وفي ابراز مشكلة حيوية لعلماء ترداد حيوية بالنسبة لمثقفي الشرق العربي الذين يمانون الآن مرحلة انتقال وقلقلة تهدمت فيها قيم كانت راسحة منذ امد بعيد. فقيم المجتمع العربي لم تتغير كثيراً إلا في خلال نصف القرن الماضي فقط ، اما قبلها فكان التغير محدوداً باطار زاده جودا سيطرة التنصب الديني بطريقة غير متمشية مع تطور وعي البشر بصفة عامة .

وما لا شك فيه اننا في الشرق لا زلنا كما قال الكاتب على عتبة الهبكل ؛ ولم يمان مأساة الانسان هذه إلا بعض افراد الطبقة المتوسطة. اما سواها من الطبقات فأفرادها إما مشغولون بكفاح قاس في سبيل لقمة العيش لا يترك أي مجال لتفكير في سواها ، او هناك غيرهم المفقون في عبث لا يفقهون منه ، بل إنه يمكننا أن نقول أن هذه المأساة أو الازمة هي في القرب ايضاً - لا في الشرق فقط - لازمة من لوازم الطبقة الوسطى بالذات ويندر ان تحدث في غيرها . ويبدو ذلك في صورة واضحة في رواية دوهايل « اعتراف منتصف الليل » فبطلها وهو من البورجوازية الصغيرة يماي هذه المأساة التي تتجت غالباً عن الصدمة العنيفة التي اصابته الطبقة الوسطى في مركزها الاجتماعي والاقتصادي بعد تقدم الثورة الصناعية ، مما ادى الى انحلال هذه الطبقة بحيث أصبح مصيرها إلى زوال ، فأفرادها إما في المجدار الى الطبقة الكادحة أو صعود إلى الارستقراطية المالية . فالطبقة الوسطى الآن قد اصبحت بلا كيان واضح بل هي في ذبذبة دائمة : ذبذبة لا تسير في خط واحد بل في المحنات مختلفة إما إلى أعلى وأفضل. وترداد المشكلة وضوحاً في شرقنا العربي حيث نجد ان الذين يتفاعلون ويشعرون بالحاجة الى الوصول لمفاهيم جديدة هم المثقفون الواعون الذين ينتمون في الاغاب الى الطبقة الوسطى ، هذه الطيقة التي يزداد دائماً بين أفرادها الشعور بالفردية ، ورغم هذا الاسراف في الشعور بالفردية لا يمكننا ان نمزل هؤلاء الافراد عن المجتمع ككل فلا نستطيع ان نؤيد الاستاذ شاكر مصطفى في قوله « ان الازمات كانت تصيب القطيع المشري ككتلة لا الانسان الفرد الشاعر بذاته كإنسان اليوم » فانسان اليوم هذا ما كان مفترقا في شعوره بالفردية فهو لا يزال رغم كل شيء جزءاً من القطيع البشري او المجتمع ، وهو لا بد مؤثر فيه ومتأثر به بطريقة او اخرى . والازمة التي تصيبه كفرد هي نفسها جزء من الازمة التي تصيب المجتمع او القطيع ولن يتنى حلها الا اذا نظرنا اليها على اساس هذا الاعتبار ، وليس هناك اليوم مجال لحلول تهم بالذات المفردة ولا تهم بكيان المجتمع ككل . ولا يحق لنا ان نكتفي باثارة التساؤل فقط بل يجب ان نلتس الحلول ، ولا يحق لنا ايضاً ان نياس او نتشائم من هذا القلق ، فهو قلق حيي زاخر يحتوي في اعماقه جماع القوى الانسانية التي تضطرب في عملية محاض هائلة يتولد عنها تقدم هائل في الامكانيات البشرية . وكما قال الكاتب قد نخلصنا من أمل المسيح ، والمهدي ، وهذا وحده فيه ارتقاء كبير وايمان بجوية الانسان ومقدرته في الكفاح على هذه الارض واستطاعة التغلب على

اليأس بلا حاجة الى امل كاذب هو أشبه بالخدر منه بالنبه ، فخلصنا من هذا الامل المزيف ليس معناه اننا قد يئسنا وفقدنا الثقة ، بل لقد آمننا وازددنا ثقة بقدراتنا وطاقتنا كبشر . واذا كان ذلك مد تبعه شيء من اللقاق فليست المأساة في هذا اللقاق وانما المأساة في ان تنحرف عن الحل السليم . وبدلاً من ان نكتل فوراً في كفاح مشترك هو وحده الذي يتم به انتصارنا ، بدلاً من هذا ننحرف الى انطواء وتوقوع واجترار لافكار انعزالية فردية لا تقدم بل تؤخر . ومن سابق التجربة التاريخية يبدو انه كما لاشك فيه ان الركب يسير ولن يتوقف ليتنظر من ينمزل عنه ويفرق في الشعور بذاته وفرديته ، فولاء فقط هم الذين يحكمون على أنفسهم بالموت ياساً ان لم يتخلصوا من فرديتهم المسرفة .

واذا كان هناك الآن أصحاب أدب أسود متشائم فبناك ايضاً أصحاب أدب متفائل يحترم الانسان كفرد ولكن بحيث لا تسيء فرديته إلى المجتمع بل هي تحدمه وترقي به . فمثلاً قصص الكاتب الامريكي شتاينك-قبل ان ينقلب على عقبيه - نجد أنها تفيض بنهاج رغم أنها غاية في البؤس والفقر إلا أنها جميعاً ذات روح انسانية أصيلة وفهم فطري لمعنى التصادق والامل في المستقبل مادمننا لا نستسلم لليأس وما دمننا جميعاً آدميين : نشعر بنفس الآلام ونسعى لنفس الاهداف ورغم اننا أحياناً قد لا يتضح لنا تماماً معث هذه الآلام او اتحاد هذه الاهداف إلا اننا كلما عايننا أكثر ازداد اقتناعنا بأن سبلنا الوحيد للارتقاء بكياننا هو الكفاح بلا كلل والكفاح المشترك متعاونين مع الخير لا بمنزولين . وكاتب آخر متفائل رغم ان فنادجه مفرقة في البؤس والتشرد وهو غوركي بل إنه في قصته الام يمرض في حوار رائع بالمثقفين الذين لا يحسنون إلا الكلام للعمل وهم يكتبون بمعاونة القلق والشعور بالمشكلات ولكنهم لا يحاولون او لا يحسنون حل هذه المشكلات لما يسود بينهم من روح الانعزال والمنافسة ورغبتهم في المنافسة مجرد اظهار ثقافتهم وهم لا يدركون تماماً ان هناك قوى أخرى فعالة في المجتمع في أحشائها بذور التقدم ويجب عليهم ان يندمجوا باخلاص في كفاحها . وهناك برنارد شو بسخريته الرائعة يمرض للمشاكل الناتجة عن التضارب بين الاوضاع الاجتماعية الموجودة فعلاً وبين القيم التقليدية التي لم تتطور معها وهو من خلال تحليله لهذه المشاكل يحاول دائماً ان يبين لنا أن في الامكان معالجتها بمعالجة المجتمع وتغيير مفاهيمه ودماييره الاخلاقية والاجتماعية بل وغالباً ما يكون في تمثيلاته شخصية تمثل القوى الناضجة الجديدة التي ستحمل عبء التقدم المسود كما في شخصية الابنة فيفي في تمثيلية Mrs. Werren's Professin .

فأمثال هؤلاء الكتاب هم الطليعة التي استطاعت ان تغلب على روح المأساة فيهم وان تفهم واجبا الملقى على عاتقها بالنسبة للمجتمع بلا انطواء وبلا انعزال .

وفي مقال الاستاذ شاكر مصطفى محاولة لتقييم النظريات العلمية ، والعلم فيما ادري لا يقيم ونظرياته لا تنافسه فقط في مدى صحتها او خطئها وذلك في ضوء براهين علمية . اما ان نصف بعض هذه النظريات بأنها «سحق للانسان لذاته وكرهه حتى لنفسه واحساسه الفاجع البشع بالعبودية او الحيوانية » فهذا ما لا يتفق مع طبيعة المنهج العلمي ؛ وعموماً فهذه النظريات العلمية - التي وصفت بالجملة السابقة - هي أكثر احتراماً للانسان من نظريات اخرى كانت تسود قبلها كظنرة التكفير والخللاس من الخطيئة الكبرى أو نظره قتل الانسان ما اكفره ، فدارون وفرويد في نظرياتهما قد زادا من فهم الانسان بالكشف عن مدى الطاقات الحيوية التي يشتملها بين جنباته ، وبذا ازداد فهمنا لهذه القوى مما يساعدنا على حفظ

الاتزان بينها وعلى حسن استغلالها في الارتقاء بأنفسنا ؛ وفرويد نفسه قد بين بوضوح ان الغريزة إذا سادت كان ذلك حالة مرضية ، فأين الحيوانية في ذلك ؟ ويلخص الاستاذ شاكر مصطفى الأساسة في ثلاث فكر :

أولاً : فشل الفكر الحديث والعلم في حل المشكلات إن لم يكن زادها ، اما ان المشكلات قد زادت فهذا صحيح ، إلا انه في الوقت نفسه دليل نجاح العلم لافشله ، لان العلم كلما حل لنا مشكلة ازدادت آفاق وعينا وظهرت لنا مجالات جديدة اوسع من قبل فزادت بذلك مشاكل جديدة نحاول مرة أخرى حلها بالعلم وهكذا دواليك . وهذه هي الحياة وهذا هو التقدم ؛ حركة دائمة الى امام وبلا توقف ، ولو كانت الطريقة التي يصل بها العلم مشاكلنا يتسج عنها ان تصبح فوجد انفسنا بلا مشاكل ، أقول لو كانت هذه هي النتيجة لاصبح وجودنا فراغاً لا معنى له هو إلى الموت والجورد أقرب . ولو سمحت الآلهة لسييفوس بأن يصل إلى القمة بصخرته ثم تركه بلا عمل فإنه ولا بد ملق صخرته بنفسه على السفح ليشغل مرة أخرى بجملها أو لعله يبحث عن قمة أخرى أعلى من سابقها يرفع إليها صخرته .

ثانياً : فشل القيم ، ولعل هذا كما سبق أن ذكرت أكثر وضوحاً في الطبقة الوسطى ، خاصة وأنه رغم انها أكثر الطبقات قلقاً الا انها في نفس الوقت أكثرها محاولة للاحتفاظ بالقيم التقليدية . فتطور قسم الطبقة الوسطى بطيء لا يلاحق التطور السريع في المجتمع الصناعي فيعزل افراد هذه الطبقة ويظنون من شقوف فوقتهم إلى الآلة رمز المجتمع الصناعي على انها شبح مخيف تقضي على احلامهم وآمالهم وكيانهم المستقر ، ومن تخلفهم هذا يزداد قلقهم فيزداد مرة أخرى تمسكهم بتقاليدهم العتيقة كآخر محاولة يائسة للاحتفاظ بالاستقرار الفكري والتعب على القلق وهكذا حلقة مفرغة : تخلف فقلق فتخلف فالذلل هو غالباً من قسم الطبقة الوسطى وإذا كنا مد ادر كنا أن مبادئ الاخلاق « ليست مثلاً علياً لا تترجح ولكنها وقائع نفسية او تاريخية او اجتماعية متطورة متقلبة » فشل هذا الادراك هو حظوة إلى امام لا وراء لانه يدفعنا دائماً إلى ان نظور قيمنا حتى ثلاثم مجتمعنا ولا نحاول تثبيت هذه القيم الا بقدر ملاءمتها ، حتى اذا اصبحنا قيمنا الجديدة هذه في يوم من الايام عتيقة نبحت او يبحث من بعدنا عن غيرها ولسنا بأول أو آخر من تعرض لمثل هذه الهزة ومثل مرحلة الانتقال هذه فقد سبقتنا إلى ذلك كل الاجيال وربما امتزنا نحن عن سابقنا بأدراكنا لهذه الفاعلية والتطور في قيمنا فهذا ادعى الي استقرارنا لا إلى قلقنا .

ويشير السيد الكاتب في بحثه إلى حضارات سعيدة قديمة وإني أستميحه عذراً في أن أسأله ما هو مقياس أو معيار السعادة في هذه الحضارات وما هو مفهومها أو المقصود بها : هل هو مجرد استقرار الأوضاع بلا قلق ؟ أو في عدد السعداء المتمتعين أو البؤساء القانمين ؟ وهناك الوان من الاستقرار والوان من القناعة هي أقرب إلى سعادة الحيوان منها إلى سعادة الانسان . وكيف يكون لنا أن تقارن بين السعادة في عصرنا وبينها في عصر آخر اختلف عنا في الظروف والمفاهيم والقيم الاجتماعية والاقتصادية والفلسفية والحاقية ؟ فمن المستحيل أن تكون نظرتهم إلى السعادة هي نفس نظرتنا فلا مجال للمقارنة .

ثالثاً : « نسبت الحضارة الحديثة الانسان وأساءت فهمه » ! وهذا فعلا هو لب المشكلة ولكنه معكوس . فلقد عجز البورجوازيون عن أن يفهموا أنه لا مكان لفردية مرسفة في فرديتها والشعور بذاتها في مجتمعنا الحالي . وبدلاً من أن يتطوروا ويحاولوا الاندماج في التيار العام نجدهم يتهمون هذا التيار او هذا المجتمع بأنه يعاني أزمة خطيرة لانه قد نسيم!! فالأزمة أزمتهم هم ولكنهم

رغم ذلك يتمسكون بمفاهيمهم البالية لا يجيدون عنها فلا يدركوا أن الفردية قد استنفدت اغراضها كعامل لتقدم المجتمع وأصبحت الآن عاقبة لهذا التقدم لا دافعة له . ولذا نبذ المجتمع كل من تمسك بها ، وهم إذ سيكون هذه الفردية لا يكون المجتمع - الذي يتقدم دائماً رغم نواحيهم - وانما هم في الواقع يعلنون افلاسهم وفشلهم ويرثون أنفسهم وضياح قوة الكفاح الجدي فيهم ثم ينشدون نشيدهم الجنازي وهم يسمرن بأنفسهم إلى الكبرف والقواقع ، إلى القبر ، وهم يتحججون بأن الحضارة الحديثة اهتمت بالكم لا الكيف وهدمت الانسان على أنه جسد فحسب ، وفاتهم انه لا مكان لاهتمام بكيف قبل أن يكتمل الكم ولا مجال لتنفيذ العقول إذا لم تتغذ البطون أولاً ، فهناك الامم ثم المهيم . ولعله مما يسهل الامور علينا أن نحدد بالضبط ما هو المقصود بالكيف أو الروح والقلب فهذه الفاظ ذات مدلولات تختلف اختلافاً واسعاً باختلاف القائل والسامع ويساعدنا كثيراً في الوصول إلى حل أن نتفق على ما نقصده بها .

— إن هاملت كانت نهايته الموت بعد أن نثر حوله العذاب والشك والجنون والقتل . أما انسان الحضارة الحديثة فهو سائر في التغلب على مشكلاته والمهم انه يجب عليه أن يستمر في البحث عن الطريق لا أن يكتفي بأن يردد أنه في أزمة او مأساة .

وأخيراً أهنيء الاستاذ مصطفى بقالة الرائع وبما أثاره فيه من مشكلات حية ما أجدرها بالبحث خصوصاً في هذه الآونة بالذات . وكم يسعدنا لو أنحفنا الكاتب يبحث آخر يساعدنا على تلمس الطريق الصحيح .

« القاهرة »

م. فهمي

★

كلمتي الاخيرة في « اباريق مهشمة »

- ١ -

في العدد الماضي من مجلة « الآداب » قرأت تعليق الكاتبة الآنسة روز غريب على نقد لي لمجموعة شعر « اباريق مهشمة » ، سبق ان نشر في عدد أسبق .

ولأن شأنها كشأن اي ناقد يتمتع بحرية القبول ، والرفض ، رأيت الى الكاتبة الفاضلة تؤيدني في بعض وجهاً النظر - وان اختلفت طريقة الفهم - وتخالفتني في جانب آخر ... فقد رأت ان كاتب هذه السطور « الذي حمل على اساليب القدماء في النقد ، ما زال يعتمد طريقتهم عينها في بحث المرات الشعرية ! » .

وقبل ان ارد على رأي الآنسة ، اود ان اشير الى ان مواقفها الحياضية في استمراضها المقتضب الشاحب للسائل التي تثير معضلات فكرية « سمساسة الانسان في الحضارة الحديثة » والمقصود بهذه الحضارة : الغربية الامبريالية ، قد اترع حاسيتي بتكهن عن مدى تفاعلية كاتبنا التي عدت المنهج ، وافقدت السند الفكري الذي تستلهمه لتبرير هذه التفاعلية ، ولهذا السبب اعتبرت دانوزنيزيو : شاعر ايطاليا الثائر ! .. ويبدو لي ان للكاتبة مفهوماً خاصاً بالثورة وكتابتها وفناتها ، يختلف عما درجت عليه الآراء العلمية الواقعية ازاء فهم القوى المحركة للمجتمعات عبر التاريخ . والتي احدثت الكثير من الهزات والتحويلات .

إن هناك ظاهرة اخذ نطاقها يتسع ويمتد في الوطن العربي عبر الفترة الاخيرة ... هذه الظاهرة هي قابلية بعض جوانب ادبنا الحديث ، ومنه الشعر ، على اثاره معضلات فكرية تستدعي النقاش ، وتستوجب الحلول

الحاسمة النهائية ، فقد انتهى ذلك الدور الذي كان يجتهد فيه النقاش حول معنى أو لفظة ، وعندئذ كانت تهرع الاخشاب الآدمية الى بطون القواميس ، ومناهات الكتب الصفر لتعثر على الدليل ! وشيئاً فشيئاً ، ولاعتقاد هذا النمط من التفكير ، انفصل الفكر عن الحياة ، وابتعد عن الخوض في معارك الصراع بين طور وطور ، بين اتجاه واتجاه ، بين قيمة جيدة محجرة ، وبين أخرى تبعث من ذات تلك ، تناهضها وتناقضها لتؤكد وجودها في الحياة .

وفي هذه الفترة المعصية من تاريخنا ، ينبغي على الادباء الذين يزجون بانفسهم في مجتمد الصراع ويدعون ناشئة الادباء الى الاقتداء بهم ، ينبغي على قلة كاذبة ملفقة من هؤلاء ، ان تدرك ان الحركة الواقعية التي تستاهم حياة الشعب والاحداث الاساسية ، والتي أخذت معالمها ترسخ رويداً رويداً على ايدي نخبة طيبة من ادباء الشباب في العراق وسورية ولبنان ومصر ، ليست على استعداد للتفريط في مكاسبها التي انجزتها بعد نضال شاق ، لان ادباً مزيفاً انزماً رغب ان يرضي نزعة الوجوديين فوضع امامه ملخص قصة لكاتبه وجودية كي يستوحي « الاخفاك » و « الضياع » ، ولصكي يرضي نزعات كيان فكري آخر ، وضع امامه انتاج بعض شعرائه يستوحي و « يوطر » ويقتبس ، حتى انك لا تجد الا في النادر الذي هو في حكم العدم ، تلك الصور التي تهزك وتثير في اعماقك تلك الحيوية ، وتلك النعمة على الاباطيل والثقة بمستقبل الانسانية المنتظر ، تلك الصور التي تنتزع من صميم بيتنا ، ومن بؤرة كل حدث « Action » على قدر اتصاله باحداث اخرى .

- ٢ -

ولهذا احتدم الجدل بين فئتين ، بين فئة تستوحي الكتب ، ان شعراً وان افاصيص « حيث تنقل الاشكال من المؤلفات لامن الحياة » كما ذكر الناقد الاستاذ محي الدين اسماعيل في مقدمه لقصص « نشيد الارض » ، وبين فئة اخرى تكافح لبعث امائر ادب عربي انساني خالص من الممكن ان ترسخ اصوله القوية في السنوات المقبلة على ايدي شبابنا المنعش الى النور والمعرفة والتحرر ، بين فئة تتمسك في المقاهي الخاوية ببعض القيم التي لا تلمي معناها ، وبين اخرى تريد عن طريق ادق القيم ، وكل فيمة مديدة ، ان تحلل وان تشرح اوضاعاً وقضايا سائدة .

- ٣ -

وعلى هذا حاولت ، في نقدي موضوع البحث . حيث بدخ الصراع الذروة ضد صدور المجموعة الشعرية الموسومة بأباريق مهشمة التي لم تكن لها سوى قيمة عادية لولا ذلك الصراع ، حاولت ان اعبر عن الاشياء التالية :

(١) الكشف عن قيم واقعية حديثة في الشعر لها ميزاتها وخصائصها ولها مسالكها الذي لا بد ان يؤدي عن طريق التجربة ، والمحاولات الجديدة ، وابداع قيم اخرى ، الى خصبها ونماؤها وازديادها ثراء وغنى على مر الايام .

(٢) وان هناك « شعراً عربياً حديثاً » اتيت على ذكر بعض اسماء رواده ، وان هناك ايضاً « شعراً عربياً » حديثاً واهمياً « تخطى بعض الحدود ، وعلى اولئك الذين يريدون ان يزجوا اتباع لؤرا باوند ، ون . س . اليون لغايات سياسية وفكرية مفضوحة ، في صميم هذه المدرسة ، وان يستغلوا هذه القيم لظعن انصارها الحقيقيين ، على هؤلاء ان يدركوا ان القارئ العربي لن يجده تضييل بعد اليوم .

(٣) وان أئين ، ان الشعر لم يعد ذلك الذي كنا نعرفه في السابق : مجرد التعبير « بلغة فصحي » عن عواطف وصور فارغة من اي محتوى ساحر ، وان اصدق الشعر لا اكذبه ! بل احفظه . بعناصر المضامين الحديثة والصدق المحض ، واخصبه في الوقت ذاته بالمشاعر الانسانية العميقة الشاملة ، الذاتية الى حد ما ، لانه ما من صراع الا وينتدح الى شطرين ينسحب احدهما الى ذات الانسان ، ويضطرب الثاني في مدى المجال الانساني الاجتماعي حيث تحتك الانا بالآخرين . ان بعض شعرائنا يتمتعون بحس مرهف ، وشعور حاد ، ولكن الذي نستشفه ان اشعارهم فارغة من ذلك المحتوى ، من ذلك المضمون الذي يثيرك ، ويرغمك على الاعتراف بانك امام شاعر « يشعر ويعبر » ويتخوض صراجات حادة .

(٤) وانني عندما اسرفت في ضرب الامثلة لمدي تأثر صاحب المجموعة الشعرية ، فلكي اثبت أن شخصية هذا الشاعر مزمنة ، تنعش على ذوات الآخرين ، مبعثرة « بين وجودية مقتملة ورومانتيكية خائبة ، وواقعية غامضة تستمد صورها من خارج المجتمع ومن ضروء النخيل » . . . واذأ فان انتاجي ذلك السيل الذي كشف عن بعض السرقات والقي التشكك على كل المجموعة ، لم يكن هو ذات النهج الذي سلكه النقاد القدماء . كل ما اردته ان اثبت ان ذلك الشاعر لم يكن سوى فارئ غير « مجرب » وان مجموعته الشعرية بكاملها مستوحاة مما فرأ . صور مشوهة منقولة لا غير ، ومن يدري فامل غيري سجد في مثل وصيدة « موب الفلاح محمود » حيث تنتصب شخصية ناظم حكمت ، يونس الاعرج !! وترتعش ملامح اجوائه النفسية ، وعندما يقرأ قول الشاعر في قصيدته « الرحيل » .

والى خطى ساعي البريد

تصغي ، وتصغي « لبس في الدنيا جديد » !

فيتذكر قول باند الجديري :

ساعي البريد

ماذا تريد؟

انا عن الدنيا بتأى بعيد

اخطأت لا شك فها من جديد . .

وعندما يمتد على اشياء اخرى غير التي اتيت على ذكرها في كلمتي موضوع النقاش ، افول ، لعل غيري هذا سيصدر حكماً اكثر فسوة ، واشد قوة في الحكم الادبي الحاسم . والآن ، وبالرغم من هذه المجالة ، سأترك للقارئ الحكم بيني وبين الكاتبة روز غريب التي اشعرتني مرآجعتها للعدد الاسبق انها كانت ممن يريد ان يلقي عن كاهله عبئاً فادحاً ، ولهذا جاءت احكامها باترة ، وارجر ان تسمح لي اذا فات انها لا تدل على ترو في محل آخر كقولها ليني « مصب في ان الاتجاه الواقعي في الفنون صفة خاصة بالطور الانساني الذي نعش فيه ، فالشاعر وغيره من اهل الادب منجرف بتيار العصر ، تيار الالتزام » - وهنا يحس القارئ ان الكاتبة سفحت بعض « العطر » عندما قالت : عن وعي منه - ولكنها نثرت بعض الشوك عندما قالت : أولاً وعي . . . هنا مصدر الاختلاف ، ان الانسة الكاتبة ، على خلاف الرأي السائد ، ترى ان الانحراف في تيارات الالتزام في هذا العصر يصدر ايضاً عن « لا وعي » . . . اما اين هي حرية الفنان وكيف حدد الاديب نظراته الى قضايا عصره ، وما هو فهمه وتحليلاته لتلك القضايا ، ولماذا اختار هذه الحلول ، ولماذا مثلاً يعزو مأساة الشعب العربي في فلسطين الى الاسباب التي هي نفسها ادت الى انهيار الاخلاق العربية التي ساندت الصهاينة الفاشست زارعي فكرة الشعب المختار

منذ مئات السنين ، وعلام الجرف في ذلك التيار ولم يجرف في التسيار
المعكس ، او يقف على « الرابية » على الاقل ، فهذا ما لم تحاول الكتابة
توضيح خطوطه لنفسها قبل ان تمسك بالقلم وتهتف : عن لا وعي !

- ٤ -

ولأني اود ان انهي كل نقاش حول هذا الموضوع ، سأجيب الآن
على رسالة صديق شاعر من رابطة النهر الخالد في القاهرة ، يرى فيها ان
بعض السرقات التي المحت اليها في نقدي السابق ، لم اذكر نصوصها الاصلية
كما فعلت في شواهد اخرى ، بل اكتفت بالقول انها منقولة من القصيدة
الفلانية للشاعر الفلاني .

لصديقي صاحب الرسالة الحق في هذا السؤال ، وإليه اجابتي :
يقول الشاعر :

وكأعمى قاذي النجم الى الباب المضاء
أخذ هذا القول من قصيدة الشاعر بابلونيرودا (الطريد)
The Fugitive وهذا هو النص :

(Blindly I was led by roads and shadows up to the lighted
door , to the small star - point that was mine)

اما قوله :

اموت ، والانسان ، بن اعماق فطرته يقدم في سحاء شاراته الاخوية!
الانسان في ليل الصراع ... فأخوذ من قول ذات الشاعر في نفس القصيدة:
Night is somber but man provides his brotherly signals...

« الطبعة الامريكية للمحمة » ليستيقظ محطم الاغلال » منشورات مجلة

الجماهير Masses « .

بغداد

كاظم جواد

★

رحمة بالقارئ !

كت أحسبني أكتب الكلمة الاخيرة حول منظومة (آه لو تنفع آه)
حين عرضت للأخ الحلبي في عدد تموز صورة الجزء الذي أبهم وزنه عليه ،
مقطعاً تقطيعاً عروضياً ولم يخطر في بالي أن نسياناً يمتري قلبي ، او ينتاب
يد المتضد سيكون سبباً لهراس جديد ، يقتضي من السيد الحلبي مقالة
عريضة - في عدد آب - تفيض بضرور أخرى من الغمز واللمز ... !

لقد سقطتني أو من المتضد بعض حروف من ذلك المقطع مع تفصيلاتها
المقابلة ، فإذا هو يهجم عليها بكل قوته ، كأنه المحقق المدلي يطبق على
طرف الجريمة ! .. ويطيب له التندر فيهتف بالسارق - أنا ! - على مسمع
جمهرة القراء : (أين ولت عبارة (تحت الدجى) يا أستاذ؟ ماذا حل
بها؟ ولم مسخت؟ ..) انظروا أيها الناس .. إنه (يبحث عامداً كلمتين
من نتاجه على مرأى من أنظار القراء، وعين الحقيقة التي لن تنام أبداً...)
ثم يحدق باحثاً عن مطعم آخر في (فريسته) فإذا هو يجده في
ذكرى لزحف الحبن - حفظ الله شعره من زحاف الحبن وإخوته .. -
فيفرخ مقهقهاً : (بشرى سارة إلى الذين يتخذون من الزحاف عكازاً! ..)
ولا يفوته أن يلون صيخته المدوية بتهاويل بارعة من ألفاظ (الجراد ،
والغزو المنظم ، والمسح ، والبهلوانية ، والانحلالية ...) وما إلى ذلك
من تعابير فنية رائمة تذكرنا بقول أمير الشعراء رحمه الله :

ومن النقد والجدال كلام يشبه البغي ... والفضولا

وأبي بغي وأي فضول أوضح من هذا الاستغلال الحماسي لكلمة لم أرد
بها دعاءً عن الزحاف ، ولإننا ذكرتها في معرض التقرير لواقع في التفاعيل
أبي أن يتفطن له دون تصوير !

على أني لا أجد مندوحة من استكمال النقاش بمعرض مجموع المقطع ،
مرقفاً بتفصيله ، ليرى الأخ الكريم أن ما حسبه مطعناً لم يمك منه بغير
تلايبه هو . فليقرأ معي مشكوراً غير مأموراً :

[مللذجتنا - فاعلاتن - حجاها - فاعلاتن - فحاها - فاعلاتن - عصفلغد -
فعلاتن - ربهاتح - فاعلاتن - تددججيه - فاعلاتن - يركامن - فاعلاتن - من
حطامن - فاعلاتن - ودمائي - فاعلاتن]

ليت شعري هل بقي شيء مما يصلح للتهافت والتصفيق بعد الآن ؟!
هل أدرك الاخ الحلبي ، وهو النقادة العبقري : أن صراخه وهتافه وتندره
لم تكن ذات موضوع !!

اما والله إنني لأكتب هذا في خجل من القراء ، فقد كان الاحرى
بدياض (الآداب) أن يسرد بما ينفع الناس أما ان نشغله بمناقشة التفاعيل
للتبث من صحتها، فذلك أمر يستدعي الرحمة بالآداب وبقراء الآداب (*).
ومها يمكن من شيء للقراء علي أن أقدر وقتهم فلا أشارك في هذا
الغو بعد هذه الكلمة . وللأخ الحلبي من بعد أخلاص تحياتي .

محمد مجذوب

★

نماذج الشعر الحر ..

« لبالي القاهرة » قصيدة الشاعر محمد اسماعيل هاني ، هي خير نموذج
حي للشعر الحر ، انتقال بارع في القوافي ، من قافية لأخرى وتبديل في
التفاعيل ، مع محافظة على الموسيقى الكلاسيكية للقافية ، التي يتحتم وجودها
في الشعر . وفي الشعر العربي منذ وجد ، فلا احراج للشاعر - في هذه
القصيدة - في الاستمرار على قافية واحدة تترم الشاعر فيما لا لزوم به ،
فتضطره الى تزييف خياله وبجاملة القوافي على حساب الشاعرية ، ولا تقيد
في الاوزان يجعل الصدور والاعجاز مرتبطة - على طول القصيدة -
بنغمة واحدة تصبح مما القصيدة كضربات رتيبة على طبل ! ..

ان الشعر الحر يجب ان يحافظ على كونه شعوراً منظوماً ، لا منثوراً ،
وكثير من الشعر الحر الذي ينشره شعراؤنا المجددون على ما فيه من دقائق
حية ، وانطلاق مجنح في عالم الواقع ، يفترق الى النغمة الشعرية وهي
موسيقية القافية المنفرد بها الشعر العربي والمتناسقة على موسيقانا ...

ان القافية الهة الشعر . مهما تطورت بجوره وكثرت اصنافه ، وان
قصيدة الاستاذ محمد اسماعيل ، وعدد ابياتها ٣٥ بيتاً انتقل فيها الى خمس
عشرة قافية ، وعدة اوزان ، وحافظ - مع هذا الطواف بين ازهار
القوافي وحسان الاوزان - على موسيقى الشعر ونغمة المحب الجميل .. ان
هذا النمط نموذج حي - كما قلت - للشعر الحر ، والا فأن التحلل من القافية
نهائياً يفقد القصيدة مجدها الفني ، ويذهب بما يؤمل من خلود الشاعر
وقصيدته رغم ما فيها من معان حية خالدة ...

عبد الكريم الملا محمد

سدة الهندية - العراق

* هذه الكلمة نختّم النقاش في هذا الموضوع الذي طال الأمد به والرد ...

« الآداب »